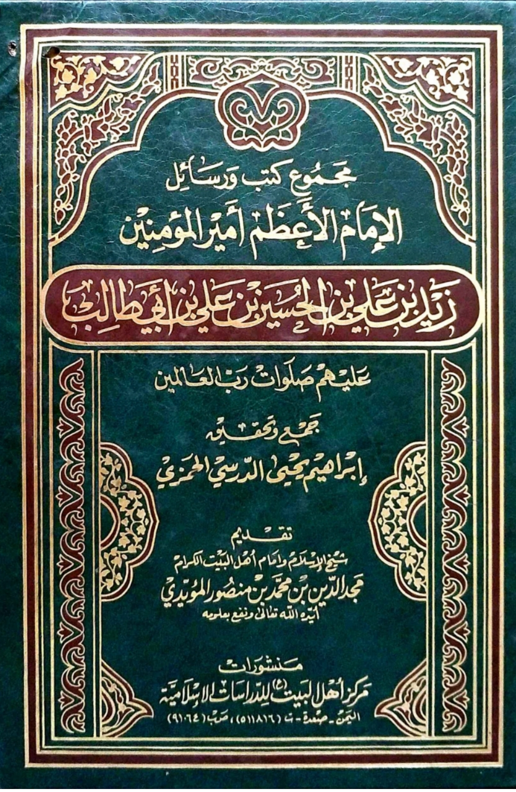


مجموع كتب ورسائل
الإمام الأعظم أمير المؤمنين
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
عليهم صلوات رب العالمين
جمع وتحقيق
إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي
تقديم
شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام
مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي
أيده الله تعالى ونفع بعلومه
منشورات
مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية
اليمن - صعدة - ت (٥١١٨١٦) ، ص.ب (٩١٠٦٤)

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

تم الصف والإخراج

بمركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية

اليمن – صعدة، ت(٥١١٨١٦)، ص ب (٩١٠٦٤)

(١) تفسير آيات من كتاب الله تعالى

سُئل عنها الإمام الأعظم الشهيد الأكرم/

أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

فاتحة الكتاب

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي؛ عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام: القرآن: اسمُ كتابِ الله تعالى خاصةً ولا يسمى شيئاً من سائر الكتب غيره.

وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، ولسور القرآن أسماء.

فمن ذلك أن الحمد تسمى أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بها في أول القرآن فتعاد، ويقرأ بها في كل ركعة، ولها اسم آخر يقال لها فاتحة الكتاب؛ لأنها يفتح بها في المصاحف فتكتب قبل القرآن، ويفتح بها في كل ركعة قبل قراءة ما يقرأ به من السور.

أما قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، فإن الله عز وجل دل عباده على أي إذا أرادوا قولاً أو عملاً افتتحو ببسم الله اكما افتتح الله تعالى كلامه، وليجعلوا ذكر اسم الله تعالى استعانة منهم نافعة، وتبركاً بالإفتتاح باسمه، كما قال ابن رواحة:

بسم اللهِ وبهِ بَدِينا ولو عَبَدْنَا غيرَهُ شَقِينا

بدينا بكسرة وهي لغة الأنصار خاصة.

﴿الرَّحْمَنِ﴾: مجازه ذو الرحمة، وكانت العرب لا تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى، ولا تسمي الله تعالى به، وكانوا يقولون لعراف[1] اليمامة: رحمن اليمامة، وكان أهل الكتاب يعلمون أنه من أسماء الله تعالى.

فلما أنزله الله تعالى على نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قالت قريش: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان:٦٠]، يقول: إنا لا نعرف هذا الاسم من أسماء الله تعالى، ولا ندعوه بما لا نعرف، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠]، يقول: فأي ذلك دعوتموه به فهو اسمه وهو حَسَنٌ.

والرحمن المنّان.

ثم قال: ﴿الرَّحِيمِ(١)﴾، ومجاز الرحيم: الرحمن المترحم الرحيم بعباده، ففي رحمته يتقلبون وبرحمته ما بأنفسهم من نعمة وما سخر لهم في السماء والأرض، وما أنزل عليهم من غيث، وما أخرج لهم من معاش.

ومن رحمته بخلقه أمهلهم في إعطائه وهم يعبدون به غيره، ومن رحمته استتابهم من شتمه وتكذيب كتبه وقتل رسله ولم يعجل إهلاكهم على عظيم ما ركبوا، فأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين الرؤوف الحكيم، اللهُ الذي هو كذلك لا مثل له من خلقه.

وتأويل الرؤوف الرحيم واحد والكلمة جامعة لكل نعمة في الدنيا. وتأويل الرحمة من الله لعباده: إغاثة الفقير، والصفح عن الإساءة؛ فالله عز وجل غياث كل مضطر وخير الغافرين.

---

(١) - عراف اليمامة: هو مسيلمة الكذاب، كان يقال لها رحمان اليمامة.

ثم افتتح بعد أسمائه الحسنى ما وصف به نفسه من الإلهية فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، يقول الشكر لله على عباده بما أنعم عليهم، وشكرُهم إياه وحمدهم إياه، طاعتهم إياه فيما أمرهم به ونهاهم عنه.

والكلمة جامعة لكل طاعة ونعمة؛ لأن الحمد شكر على النعم، فالنعم كلها من الله تعالى، والشكر واجب على الطاعة كلها لأنها بالله كانت فهو أهل أن لا يعصى ولا ينسى.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢)﴾: يقول: الحمد لله: لمولى العالمين، والرب هو: المولى، والعالمين: أهل السماوات والأرض وجميع ما خلق الله تعالى من خلقه، وواحد العالمين عالَم يقول: فليس لرب العالمين شريك.

وأنشد الإمام زيد بن علي — عليهما السلام — قول الشاعر حيث يقول:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلهمْ في العالمينَ

قال الإمام زيد بن علي — عليه وعلى آبائه السلام —: وقد روينا عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أنه قال: ((لله أربعة عشر ألف عالم الجن والإنس منها عالم واحد)).

ثم عاد إلى أسمائه الحسنى فقال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣)﴾، يقول: رب العالمين هو الرحمن الرحيم.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤)﴾: أي هو يملك يوم الدين، كما هو اليوم رب العالمين، يخبر أن الدنيا والآخرة له، وهو ملكهما لا غيره.

والدين: الجزاء يوم يدان الناس بعضهم من بعض ويجازيهم بما كانوا يعملون، وإنما أخبرنا أنه يدين بعض الخلائق من بعض يخوفهم بذلك ويحذرهم ليزدجروا ويحذروا، وقد يقال في الأمثال: كما تدين تدان.

ثم أمر عباده بالإخلاص، فقال قولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)﴾، إياك نعبد لا نعبد غيرك، ومعنى نعبد نطيع ونتعبد ونصلي ونوحد.

وإياك نستعين على عبادتك؛ فأمرهم تبارك وتعالى أن يستعينوا به فيما يتعبدهم في كل أمورهم؛ لأنهم لا ينالون خيراً إلا بالله تعالى.

وقد كان الكفار يستعينون بآلهتهم التي كانوا يعبدون من دون الله تعالى، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يخلصوا ذلك له.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)﴾: أمرهم أن يسألوه الهدى والاستقامة، وهما: الصواب في كل قول وعمل.

الصراط: السبيل المنهاج الواضح، وأنشد الشاعر(١):

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

وقال آخر:

يصدُّ عن نهج الصراط القاصد

والصراط المستقيم: يستقيم بأهله إلى النجاة والهدى والجنة.

ثم قال عز وجلّ ليبين لعباده أي صراط يسألوه الهداية إليه، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإيمان بك من النبيين والرسل والشهداء والصالحين.

---

(١) - هو جرير.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧)﴾: ولا حرف من حروف الزوائد لتتميم الكلام، وهذا ما تعرفه العرب في لغتها وأشعارها فهي لا تحتاج إلى تفسير كما قال الشاعر:

فما اللوم البيض إلا سحر(١) ... الماء أين الشمط القنفدر(١)

وقال آخر من العرب:

ويلحينني في اللهو(٥) ألا أحبه ... وللهو داعٍ دائبٍ غيرَ غافلِ

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام: وقد قال بعض أهلنا: المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى.

والغضب من الله عذاب ونقمة، وهو لا يغضب إلا على من مقت، ولا يمقت إلا من أسرف وتعدى عن الحق؛ فنعوذ بالله من الغضب والضلالة.

وبالإسناد حدثنا قال: حدثني عبدالله بن محمد البلوي، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا أنه سمع رجلاً من علماء أهل الشام يسأل زيداً — عليه السلام — فقال: كيف تقرأ أمّ الكتاب؟

فقرأ زيداً — عليه السلام — الحمد لله ثم رتلها وشرحها حرفاً حرفاً، فخلتني أسمعها كما أنزلت إلا أنه قرأ مالك يوم الدين، فقال له شاعر هشام بن عبد الملك: لم قرأتها بالخفض وأنت تقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)﴾؟

---

(١) - لم يظهر لفظ البيت ولا معناه.

(١) الذي في تفسير الطبري (١/١٩١/ ط هجر): وأن "لا" بمعنى الإلغاء والصلة، ويعتل لذلك أيضاً بقول أبي النجم [الرجز]: فما ألوم البيض أن لا تسخرا * لما رأين الشمط القفندرا. وهو يريد فما ألوم البيض أن تسخر اهـ وهو في الصحاح واللسان والجمهرة والتاج والمحكم كذلك، قالوا جميعاً: القفندر: القبيح المنظر. ثم استشهدوا بهذا البيت. وقال في تاج العروس: الشمط محركة: بياض شعر الرأس يخالط سواده، كذا في الصحاح، وفي المحكم: الشمط في الشعر: اختلافه بلونين من سواد وبياض اهـ.

(٥) في تفسير الطبري (١/١٩١/ط هجر): وبقول الأحوص [الطويل]: ويلحينني في اللهو أن لا أحبه * وللهو داعٍ دائب غير غافل. يريد: ويلحينني في اللهو أن أحبه اهـ ومعنى يلحينني: يلمنني على اللهو أن أحبه. وقبله في الكامل للمبرد (١/٧٠) (ط دار الفكر): ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي * ويزعمن أن أودى بحقي باطلي. اهـ

قال زيد ــ عليه السلام ــ: هكذا سمعت أبي يقرأها، وذكر أنه سمع أباه يقرأها كذلك، وذكر أبوه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أمره كذلك.

قال: فقال الشاعر: أحلتني على الرواية و لم تبين الحجة، وإن أتبين من روايتــك: ﴿مالك يوم الدين إياك نعبد﴾ على النداء: يا مالك يوم الدين إياك نعبد.

فقال الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ متمثلاً:

تعلّمتُ شـيئاً في الصِّبا فنسـيتُهُ ... كـذا البَغْـلُ في أحوالـه يتنقّـلُ
يجـيءُ بمشـي تـارة تسـتلذه ... وطـوراً إذا استعجله يتخبّـلُ
ولولا شكالُ البغلِ لم يمشِ طائعـاً ... ولكن عِرابُ الخيلِ ليـس يُشَـكّلُ

ثم قال: يا ويحكاه بجازه من جر مالك يوم الدين أنه حدّث عن مخاطبة غـائب ثم رجع فخاطب شاهداً فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)﴾، والعرب تفعـل ذلك في خطابها وأشعارها(١).

قال الرجل: أعطني واحداً من العرب فعل هذا في كلام أو شعر.

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ كيف روايتك للشعر ؟

قال إني: لأروي وأقول.

قال زيد ــ عليه السلام ــ: فهل تحفظ قصيدة عنترة ؟

قال: نعم.

قال: فأنشدها، فأنشده حتى انتهى إلى قوله:

شطّتْ مزارَ العاشقين فـأصبحَتْ ... عَسِرًا عليّ طِلابُكِ ابنـةَ مَخـرَمِ

---

(١) - وهذا ما يسميه علماء المعاني والبيان: الإلتفات.

قال زيد ـــ عليه السلام ـــ: ويحك تأمل هذا البيت، فتأمله الرجـــــل، فقـــال: صدقت لعمري، لقد خاطب غائباً، ثم رجع فخاطب شاهداً.

قال زيد ـــ عليه السلام ـــ: ومثل هذا قول أبي ذؤيب الهذلي:

يا لهفَ نفسي كانَ جِدَّةُ جلدهِ ⑴ وبياضُ وجهك للـــتراب الأعفــرِ

قال: ولقد رأيت بعد ذلك شاعر هشام وإنه ليخدم زيداً ـــ عليه الســـلام ـــ ويلوذ به ويتعلم منه.

أخبرنا العلوي، قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقري[1]، وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي[2]، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله بن محمد العلوي، قال: حدثني عمارة، قال: وأخبرني عبيدالله بن العلا أنه سمع من سأل زيداً ـــ عليه السلام ـــ عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(٧٧)﴾ [الفرقان]، فقال الإمام زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والســـلام ـــ: في هذه الآية مضمر ولذلك أشكل تفسيرها إلا على علمائها، وإنما المعنى: ما يعبأ بعذابكم ربي لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد.

ويوضح ذلك: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(٧٧)﴾، أي يكون العذاب لمن كذب ودعا من دونه إلهاً لازماً، ومثل هذا من المضمر قول الشاعر:

من ساد لي ⑵ النفس في هواه منك ولكـــن مـــن لـــه بـــــــالمضيق

⑴ من كتب اللغة ودواوينه: يالهف نفسي كان جدّة خالد ... إلخ اهـ

⑵ الصحيح من كتب اللغة منها لسان العرب لابن منظور، مادة "دلد" وجمهرة أشعار العرب وكتاب الشعر والشعراء أن لفظ البيت هكذا: من شاء دلّى النفس في هوّة ضنك ولكن من له بالمضيق، وهو للمهلهل بن ربيعة اهـ

---

(١) - إسحاق بن محمد المقري أبو أحمد الكوفي، عن عبدالله بن أحمد الأيادي، ومحمـــد بـــن ســـهل، وجعفر الصيدلاني، وعنه: الحسين بن هارون الهاروني.

(٢) - عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى أبو أحمد الجلوذي الأزدي البصري روى عنه محمد بـــن سهل، وعنه محمد بن جعفر التميمي، له كتب في أخبار الأئمة وغيرهم، توفي سنة (٣٣٢هـ).

أراد: ولكن من له بالخروج من المضيق، وقال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]، أي من كان يريد علم العزة لمن هي فإنها لله تعالى.

[معنى العهد]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النحار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري، وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً — عليه السلام — يُسألُ عن العهد ما هو؟

فقال — عليه السلام —: قد ذكر الله عز وجل العهد في غير موضع من كتابه بلفظ واحد ومعان مختلفة:

فسمى العهد في موضع أماناً، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة:٤].

وجعل العهد في موضع آخر يميناً، قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١].

ثم جعل العهد في موضع آخر وصية، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ﴾ [يس:٦٠].

وللحفاظ عهد، قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم —: ((إن حسن العهد من الإيمان)) .

والزمان عهد، يقال: ذلك كان بعهد فلان.

والعهد هو الميثاق، ومنه قول الله تبارك وتعالى لإبراهيم — عليه السلام —: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(١٢٤)﴾

[البقرة]، أي لا ينال ما وعدتك من الإمامة الظالمين من ذريتك، والوعد من الله تبارك وتعالى ميثاق.

[معاني الضُّر]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثني عمارة بن زيد، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً يسأل زيداً ـ عليه السلام ـ عن الضر في كتاب الله تعالى ما هو ؟ مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ(٧٣)﴾ [الشعراء]، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [يونس:٤٩].

قال زيد ـ عليه السلام ـ: أما قوله عز وجل: ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ(٧٣)﴾ [الشعراء]، فإنما أراد يحيونكم أو يميتون.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [يونس:٤٩]، أي: لا أملك جر نفع ولا دفع ضرر، والضر أيضاً الشدة والبلاء كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام:١٧]، ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة:١٧٧].

فمن الشدة: قحط المطر، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ [فصلت:٥٠]، أي مطراً من بعد قحط وجدب.

ومنه: الهول أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٦٧].

ومنه: المرض، كقول أيوب ـ عليه السلام ـ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ [يونس:١٢].

ومنه: النقص، كقوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ(٣٢)﴾ [محمد].

[تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾]

وبالإسناد قال: حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثني غمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً يسأل زيداً — عليه السلام — عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، قال إنه لم يقل ليس هو شيء، فما المثل هاهنا وهو لا مثل له ؟

قال الإمام زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام —: المعنى في ذلك على ليس كهو شيء، فأدخل المثل توكيداً لكلام مثل قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد:١٥]، كأنه قال: الجنة التي وعد المتقون، فأدخل المثل توكيداً للكلام.

قال الرجل: وهل تعرف العرب هذا ؟

قال: نعم، قال لبيد العامري:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقال أوس حجر:①

وقتلي كمثل جذوع النخيل ... يغشاهم سيل②منهمر

وإنما هو كجذوع النخيل، والبيت الآخر: أي ثم السلام عليكما.

① الصواب: أوس بن حجر
② لفظ البيت في ديوان أوس بن حجر ص٣٠، وفي الجنى الداني في حروف المعاني ص٨٨ (ط العلمية): وقتلى كمثل جذوع النخيل * يغشاهم مسبل منهمر اهـ والمسبل بالتحريك: المطر، وقيل: المطر المسبل، وقد أسبلت السماء، وأسبل المطر والدمع إذا هطلا... إلخ ما في لسان العرب (٣٢١/١١)

[معنى مكر الليل والنهار]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحي الجلوذي، قالا: أخبرنا محمد بن سلمة، قال: حدثنا عبدالله بن محمد، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت سعيد بن بارق يقرأ على الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ شيئاً حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ:٣٣]، فوقف ؛ قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ: ما يوقفك ؟ قال جعلت فداك أي مكر الليل والنهار وهما لا يمكران ؟

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ: وهذا الحرف أو أعجبك فله مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، والقرية لا تسأل إنما يسأل أهلها، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الكهف:٥٩]، أي أهلها مجاز ذلك: على ما يفعلون.

والعرب تقول: بنوا فلان تطوهم الطريق أي أهل الطريق لأن الطريق لا تطأ، وقولهم: ما نزلنا نطأ السماء حتى جئناكم، أي ماء السماء، والسماء لا تطأ.

وكذلك بل مكر الليل والنهار، وكذلك في: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة:١٨٩]، ومن اتقى ليس بالبر ولكنه البَار والبر فعله، و﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، أي كخلق نفس واحدة.

وسمعت بعض العرب تقول: أطيب الناس الزبد، وإنما يريد أطيب طعام الناس الزبد، وكذلك يقول القائل: أنت أكرم عليّ من أن أضربك، أي من صاحب الضرب مجاز هذا على سعة الكلام، وأنشد للخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار

فجعلتها الإقبال والإدبار.

وأنشد زيد ــ عليه السلام ــ لأبي البلدة:

كأنّ عديدَهم (١) بجنـــوب ســـلع ... نعـــامٌ فـــاقَ في بلـــدٍ قِفَـــارِ

أي عديد نعام. وقال الظهري (٢):

حبست نعام (٣) راحلــــتي عناقــاً ... فما مـــاريت غـــيرك بالعنـــاق

أي بُغام عناق أو صوت عناق، وهذا مثل حبست صاحبي زيداً، أي صياح زيد (٤) وكلامي عمرو أي كلام عمرو.

ومثل ذلك قول النابغة:

وقد خفتُ حتى ما تَزيدُ (تزيد) مخافتي ... على وعلٍ (٥) في ذي المطارة غـــافل

وقال آخر:

سادوا البلاد فـــأصبحوا في آدم ... تعلوا بهم (٦) بيض الوجوه فحـــولا

فقال: في آدم.

وقد قال النابغة الجعدي:

وكيف تُوَاصِلُ مَنْ أصبَحَـــت ... أمانتُـهُ كـــأبي مرحـــب

قال: كأمانة أبي مرحب.

(١) لفظه في كتب التفسير واللغة: كأن عذيرهم بجنوب سِلّى * نعام قاق في بلدٍ قِفارِ، وفي بعض منه: كأن عذيرهم ...إلخ، والأول أصح مما قالوا: أراد بقوله نعام: عذير، أو عذير نعام. والعذير أو العذير هو: الحال، يريد: كان حالهم في هربهم منا وفرارهم حال نعام يبادر العدو وهو فزع مذعور. و(قاق النعام): صوّت. و(سِلّى): ماء لبني ضبة باليمامة وقيل ووصف البلد - وهو مفرد - بالقفار نظراً إلى أجزائه ومواضعه: كل منها قفر أي خالٍ لانبات فيه.

(٢) الصواب: ذو الخِرَق الطهوي.

(٣) الصواب: حبستُ بُغَامَ راحلتي عناقاً * وما هي ويبَ غيرك بالعناق، أي: بُغام عناق، أي: صوت عناق، وهو للطهوي يخاطب ذئباً، و«ويب» بمعنى: ويل غيرك.

(٤) في الإبانة في اللغة العربية (٣٦٦/١): وهذا مثل: خشيت صياحي زيداً، أي: صياح زيد.

(٥) في كتب اللغة: وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي * على وعلٍ في ذي المطارة عاقلِ، والوَعِل: تيس الجبل، والمَطارة - بفتح الميم -: البقعة التي يطار منها، وهو هنا اسم جبل، وليضاف إليه «ذو». وعاقل: أي: متحصن اهـ وفي الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري (٣٠٨/١).

(٦) في كتب اللغة: يعلوا بها ...إلخ اهـ انظر شرح كتاب سيبويه (٢٠/٤) اهـ (١٤) فأصبحوا في بني آدم اهـ

وقد قال بعض أهلنا في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ [النـــور:٦١]، أي ليس على من أكل مع أعمى حرج.

وسمعتُ(١) ذلك يسأله أيضاً عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، فقال: يكون شيء أهون من شيء علـــى الله تبارك وتعالى؟

فقال الإمام زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والسلام ـــ: الأشياء كلها سواء عنده تعالى.

قال بعض أهلنا: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، أي على الخلق فالمعنى هو أهون عليه أي هين عليه أول خلقه وآخره.

وقد قالت مثل ذلك العرب، وأنشد:

لعمرك ما أدري وإني لأوجـــــل　　　على أينـــا تعـــدوا المنيـــة أول

أي: وإني لوجل.

وقال آخر من العرب:

تمنا رجال أن أموت وإن أمـــت　　　فتلك سبيل لست فيها بـــأوحد

أي بواحد.

وقال آخر:

قُبِّحتـــم يـــا آل عـــوف نفـــرا　　　أُســـم قـــوم أصغـــراً وأكـــبرا

(١) – القائل سمعت، هو ((عبيد الله بن العلا))، وذلك السائل هو ((سعيد بن بارك)).

أي صغير وكبير.

[الدليل عند الاختلاف]

حدثنا العلوي، قال: أخبرنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال : حدثني عمارة بن زيد ، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً ــ عليه السلام ــ يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة:١١٣]، يعنون على دين؛ لأنه ينكر بعضهم ما يدين به بعض؛ ثم قال: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة:١١٣]، يعني التوراة التي يجمعون على تصديقها.

ثم قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: إفهموا عن الله تعالى هذه الحجة النيرة إنه أعجبنا من اليهود والنصارى يختلفون وعندهم الكتاب الذي فيه فصّل اختلافهم وبيان أمرهم، ولو كان الكتاب الذي في أيديهم لا يبين لهم الذي اختلفوا فيه ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ فأوجز الحجة ووعظ أمة محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بهم وأخبرهم أن الكتاب دليل لهم إن اختلفوا بعد نبيهم وفيه البيان والبرهان وهو فصل الخطاب والنور المبين والصراط المستقيم.

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: ((ما بلغكم عني فأعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافقه فهو مني وما خالفه فليس مني)) فأخبرهم ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أن الكتاب يفصل الحق من الباطل.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١١٨]، يعني مشركي العرب ونفا عنهم العلم لأنهم أهل جاهلية ولا علم لهم بما في كتب الله تعالى التي فيها حججه على خلقه.

وأنبأهم أنهم فيما ينتحلون ويدينون به جهال لا يعلمون له حجة ولا برهانـــاً، وسوى بينهم وبين العلماء من اليهود والنصارى إذ لم يصيروا بعلمهم وكتـــابهم إلى اجتماع على تأويل كتابهم الذي هم به مؤمنون وإلى اجتماع فيما يدعون من العبادة التي هي في الكتاب الذي هم به مقرون.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(١١٣)﴾ [البقرة]، من الدين، والقـــول على الله بلا برهان ولا حجة، ثم يدعون أن لهم عليه الثواب عنـــد الله تبارك وتعالى.

قال: وسمعت الإمام زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والسلام ـــ يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَـــعَ مَسَـــاجِدَ اللَّـــهِ أَنْ يُذْكَـــرَ فِيهَـــا اسْـــمُهُ﴾ [البقرة:١١٤]، يعني جميع الكفار الذين تظاهروا على محمد ـــ صلى الله عليه وآلـــه وسلم ـــ ومن آمن به ليقتلوهم ويمنعوهم من دينهم فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَـــعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، والمساجد هي المواضع التي يعبد فيها الله تعالى.

وكل متعبد ومصلى فهو مسجد كما قال النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ: ((جعلت لي كلُّ أرضٍ طيبةٍ مسجداً وطهوراً)).

فتظاهروا على إطفاء دينهم وخراب مساجدهم التي يعبدون الله تعـــالى فيهـــا، ومنعوهم من المسجد الحرام أن يصلوا فيه ويحجوا إليه.

قال عبيد الله: وإنما أهاج زيداً ـــ عليه السلام ـــ على هذا القول رجل قـــال في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، قـــال: مساجد الله بيت المقدس لم يكن على المؤمن فيه فرض فيكون المشركون ظـــالمين في منعهم عنه.

ولكنه أراد بالظالمين جميع الكفار وهو كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف:٨]، فقال: أولئك الذين تعاونوا على قتل أهل دين الله تعالى ﴿ما كان لهم أن يدخلوها﴾ أن يدخلوا المسجد الحرام ومساجدهم التي بنوها لله تعالى ﴿إلا خائفين﴾.

فأخبر الله عز وجل في الآية أنه سيظفره بالمشركين ويذللهم له حتى لا يدخل متعبَّدَهم ومساجدَهم مشرك أبداً إلا خاضعاً لهم أو خائفاً إذا كان أمره المناصبة والمحاربة للمؤمنين.

ثم قال: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [البقرة:١١٤]، إما مشرك مقتول، وإما ذو كتاب مخزي بالجزية والصغار.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١١٤)﴾ [البقرة]، والعظيم من العذاب: هو الوجيع فإذا عظم شيئاً فهو الغاية والمنتها، وإذا عظم الثواب فإنما يريد أن يكثره لهم.

[معنى اليد واليمين والعين]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: أخبرنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً ـــ عليه السلام ـــ يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، قال: مجاز الآية النعمة منه والفضل.

وقوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤]، يدل على ذلك، وقد يقول الرجل من العرب لفلان علي يد، أي نعمة.

وقد قال علي ــ عليه السلام ــ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:٢٩]، قال: (لا تمسك يدك عن النفقة في حق بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه).

وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، أي توليت أنا خلقه بغير أبوين، كقولك له: يداك عملت هذا، أنت فعلته ولم تعالجه بيدك وأنت عملت هذا بيدك ولعله إنما قاله بلسانه ولم يعمل شيئاً بيده.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، أي بقدرته، وكذلك قبضته يوم القيامة أي في قبضته وملكه، وكقولك: هذا في يدي أي في ملكي، ولست قابضاً عليه، أما سمعتم قول الشاعر:

إذا ما رايةٍ رُفعت لمجدٍ ... تلقاها عُرابةُ باليمينِ

أي بالعزة والقدرة.

وقال عدي بن زيد:

فردّته فضعف (١) ما أتاها ... ولم تعقد على المالِ اليمينَا

وقال حسان بن مرة:

يديان بيضاوان عند مُحَلَّمٍ (٢) ... قد تمنعانك بينهم أن تهضما

وإنما المعنى النعمة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(٣٩)﴾ [طه]، أي بمنظر مني وترتب على محبتي.

(١) في كتب اللغة: فردته بضعفي ما أتاها * ولم تكبل على المال اليمينا اهـ وفسروا (لم تكبل) بـ(لم تعقد).

(٢) محلم بكسر اللام يقال: إنه من ملوك اليمن اهـ خزانة الأدب (٤٨١/٧).

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ: قال أمية بن الصلت:

اسمع لسان الله كيــف شــكوله ... تُعْجَب ويلبسك الذي يســتكد (١)

كأنه قال: اسمع كلام الله وحجته.

[معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبد الله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً ــ عليه السلام ــ يقول: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه:٦٣]، قال: هذه لغة بني الحارث بن كعب، أراد الله جل اسمه أن ينزل القرآن بلغات العرب لِتَعْلَمَ الخليقةُ عجزَهم عن أن يأتوا بمثله.

وبنو الحارث بن كعب يقولون: مررت برجلان وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه وركبت علاه.

ثم أنشد لبعض الحارثيين:

تَزَوَّدُ منــا بــين أُذْنَــاه ضَرْبَــةً ... دعتْهُ إلى هابي الــتراب عقيــمِ (٢)

وأنشد لبعضهم:

أيُّ (٣) قَلُــوصِ راكــبٍ تراهـــا ... طاروا عَلاَهُنَّ فَطِـــرْ عَلاَهَـــا

(١) من كتب اللغة: (تُعجِب ويُلبِسك الذي يستشهد)، ومن بعضها: (الذي تستنشد) وشكوله: ضروبه، يلبسك: يكلمك، ويستشهد بهذا، يكلمك الذي تستنشد أي كأنه يكلمك. اهـ

(٢) الذي في كتب اللغة منها سر صناعة الإعراب لابن جني، ومقاييس اللغة لابن فارس: تزود منا بين أذناه ضربة * دعته إلى هابي التراب عقيم اهـ هابي التراب: ما ارتفع ودق. والعقيم: الضربة التي لا تثنى، وهي خبر لمبتدأ محذوف معرضاً الشاعر مراعاة للقافية اهـ

(٣) القَلوص بالفتح: الناقة الشابة، وقوله: (طاروا علاهن) أي عليهن، والمعنى: أسرعوا عليهن مخفّين. اهـ فالمراد: ارتفعوا على إبلهم فارتفع عليها. اهـ خزانة الأدب (١١٥/٧)

[معنى الكفر لغة]

وبالإسناد قال: حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلاء: وسمعت زيداً ـ عليه السلام ـ يقول في قول الله عز وجل: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد:٢٠].

قال الإمام زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ: إنه لم يرد الكفار بالله تعالى، وإنما أراد الزراع، وواحد كافر، وإنما سمي كافراً لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي غطاه وكل شيء غطيته فقد كفرته.

ومنه: قيل تكفّر فلان بالسلاح أي تغطى بالسلاح واستتر، ويقال: الليل كافر؛ لأنه يستتر بظلامه كل شيء.

قال لبيد بن ربيعة:

في ليلة كفر النجومَ غمامُها

أي غطاها، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

[الدعوة المجابة]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً سأل زيداً ـ عليه السلام ـ عن قول الله عز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فقال: قد رأيناه يدعا شيئاً لا يستجيب فيها.

قال الإمام زيد بن علي ـ عليهما الصلاة والسلام ـ: الاستجابة إنما تكون على الدعاء الجائز لصاحبه، ألا ترى أنه لو دعا بمعصية لم تجز الإجابة له، فإذا دعا

بدعـوة وهي تفي فلم يعطها فقـد استجيب له لأنه يعطى بها عوضـاً، وكـان أصلح له ما يعوض من دعوته تلك ويدخر له منها.

[معنى قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾]

أخبرنا الشريف أبو عبدالله، قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنـا أبـو أحمـد إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي البصري، قال: أخبرنا أبـو عبدالله محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سأل رجل زيداً ـ عليه السلام ـ عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦]، قـال: يـأمرهم بالفسق، وهو يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠].

فقال الإمام زيد بن علي ـ عليهما الصلاة والسلام ـ: ليس المعنى ما ذهبـت إليه، أنت تريد مثل قولك: أمرتـه فضرب زيداً، وأمرته فقام، لأنك تأمر بضـرب زيد وبالقيام، وليس هذا من ذلك، ولكنه يكون على معنيين:

أحدهما: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها، كقولك: أمرتـك فعصيتـني، أي بالخير، وهي قراءة أبي عمرو على الأمر.

وفيها معنى آخر، وهي قراءة أهلنا: أمرنا كثرنا، وقد قرأ بعض أهلنـا: آمرنـا ممدوداً، وقرأ بعضهم: أمّـرنا ، مثقلة، أي سلّطنا، وقد قال في معنى الكثرة: أَمِـر القوم يأمِرُون أمراً: كثروا، وفي مَثَلٍ لهم: ليس أمر أتى بأمر زائد، [والشك المبيـدان، يغبطوا يهلكوا، وإن أمروا يوماً يصيروا للهاتك والنكر](١)

وقال زهير:

والإثم من شر ما تطـال بـه   والـبر كـالغيث نبتـه أَمِـرُ

[معاني الضلال والإضلال]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا قال: سمعت رجلاً سأل زيداً ـــ عليه السلام ـــ عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]، و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨]، ثم قال: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ(٨٥)﴾ [طه].

ثم قال: ﴿يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ [الفرقان]، وعن قوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم]، وما معنى هذا الضلال والإضلال ؟

قال الإمام زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والسلام ـــ: معانيه مختلفة الإضلال من الله عز وجل بوجهين:

أحدهما: التسمية بالضلال والحكم على أهله بالعذاب كما يقول القائل: كفَّرتُ الرجلَ وفسَّقتُه وزنَّيتُه إذا سمَّيتُه بذلك.

والمعنى الثاني: الخذلان والترك والتخلية بعد المعصية من المخذول وهو أن يخذله فلا يزيده في قوته ولا يشرح صدره له ببسطة.

هذا حكمه في العاصين كما يقول الرجل لصاحبه: أهلكت ابنك وأفسدته، أو خادمك إذا خليت بينه وبين هواه و لم تأخذ على يديه وأنت لم تدخله في فساد أكثر من التخلية والترك، وقد كان معه من عقله وقوة الله فيه ما يردعه عن المعصية، وإن أنت لم تأخذ على يديه وخليته، فالحجة عليه.

وكذا التخلية من الله تعالى إنما هي ترك الزيادة في قوته وقد تقدم إليه توعد الله تعالى ووعيده وتقويته له.

وأما الضلال من الآدمي لمثله ومن الشيطان، فهو الدعاء والتزيين للمعصية فإذا دعوته إلى معصية وزينتها له فقد أغويته وأضللته، وهذا المعنى منفي عن الله جل اسمه.

وأما ضلال الأصنام وهي لا تدعوا إلى ضلال ولا تعقل، وكذلك ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح]، وإنما ذلك لأن القوم لما ضلّوا عن الأصنام وكانت سبب ضلالهم لأنهم عبدوها سُميت مضلة لهم، كقولك: قد أهلكت هذه المرأة الرجل وأفسدته وأذهبت عقله، ولعلها لم تعلم به ولم تره، ولكنه لما فسد عنها قيل ذلك؛ فهذا مجاز الضلال.

[معاني الهدى]

قال الإمام زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ: كذلك الهدى يكون على وجوه؛ فمنها: قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٨٧)﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٥٢)﴾ [الشورى]، وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣].

فأخبر جل وعلا أنه يهدي، وأن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يهدي، وأن المؤمنين يهدون.

والمعنى من الله تعالى في الهداية: دلالته على الحق ودعوته عليه وتسميته به.

والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت:١٧]، فالمعنى: دللناهم وبينا لهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(٣)﴾ [الإنسان].

والهداية الثانية من الله تعالى: العصمة هكذا حكمه جل ثناؤه فيهم.

وأما الهداية من النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والمؤمنين فالدلالة وحدها والبيان والمعين الزائد في القوى وشرح الصدور عن أياديها كذلك.

[معنى قوله تعالى : ﴿دَحَاهَا﴾]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي قالا: أخبرنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً سأل زيداً عليه السلام عن قول الله جل ثناؤه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(٣٠)﴾ [النازعات]، كيف جاز أن يقول: والأرض بعد ذلك دحاها والأرض قبل السماء خلقها لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٢٩].

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: المعنى في ذلك على وجهين: أن تكون بعد في معنى مع وقد قال الله عز وجل: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(١٣)﴾ [القلم]، وإنما هو مع ذلك، ويقول الرجل للرجل يسابّه: هو أحمق بخيل وبعد هذا لئيم الحسب، أي مع هذا.

وأنشد الهذلي:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا ... خِرَاش وبعض الشر أهون من بعض

يريد أن خراشاً نجا قبل عروة.

ووجه آخر: أن يكون خلق الأرض و لم يدحها، فلما خلق السماء دحا الأرض بعدها، أي بسطها، ودحاها: بسط ومَدٌّ وذلك في كلام العرب.

قالوا: دحى يدحو، ودحيت أدحي لغة.

وقال أمية بن الصلت:

دار دَحَاها ثم أعمر أرضها ... وأقامَ في الأُخْرَى التي هي أمْجَدُ

① من كتب اللغة ؛ ثم أعمرنا بها.

وقال أوس:

ينفي الحصى عن جديد الأرض منتزل (١) كأنه لاعبٌ أو فــاحصٌ داحــي

[معنى : ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقــري وعبــد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد، قال: حدثني عبــدالله، قــال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت أبا خراش بن العــامري يسأل زيــداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَــا الَّذِيــنَ ءَامَنُــوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨].

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ: ما يقول مفسروكم فيها ؟ قال: لم أسمع فيها شيئاً.

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: قد اختلف فيها أهلنــا، فقال بعضهم: أمرهم أن يدخلوا في الإسلام في سرهم وعلانيتهم.

وقال آخرون: إنها نزلت في قوم من اليهود وكانوا يتقون السبت ولحوم الإبل، فقال الله جل ثناؤه: وادخلوا في كل الإسلام إذا أسلمتم.

وقال آخرون: عنى به المؤمنين، يقول: كونوا فيما تســتقبلون في الإســلام لا تبدلوا به ولا تخرجوا منه وهو كقوله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُــوا بِاللَّهِ﴾ [النساء:١٣٦]، هذا محكم، وقوله: ادخلوا كقوله: آمنوا.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي تعديه لأمر الله جل اسمــه ومخالفته لكم.

(١) في كتب اللغة: ينفي الحصى عن جديد الأرض مبترك * كأنه فاحص او لاعب داحي او الشاعر يصف مطراً بانه مبترك اي ملح بالمطر، والمعتمد الذي يقشر وجه الأرض او (داحي) فيه معنى البسط لأنه المطر يدحي الحصى عن وجه الأرض. واللاعب المراد هنا: الرامي بالحصى.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٢٠٨)﴾ [البقرة]، أي عداوته لكم بينه لأنه إنما يدعوكم إلى الإثم.

[معنى : ﴿ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا أنه سمع زيداً ــ عليه السلام ــ يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١]، وذلك في جدل جرى بينه وبين علماء الشام بين يدي هشام ــ لعنه الله تعالى ــ فسألوه عن هذه الآية.

فأجاب فيها أن قال: الآية الحجة البينة، وقد قال بعض مفسرينا: إنه عنا ما آتى موسى ــ عليه السلام ــ من الآيات يقول: فكانوا مع ما أتاهم من الآيات أصحاب خلاف ومعصية لله تبارك وتعالى ولرسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ.

فلذلك قال: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ [البقرة:٢١١]، يقول: يبدل حجج الله وبراهينه من بعد ما جاءته.

وقال آخرون من مفسرينا: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يريد علمائهم ﴿كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: أي من حجة لمحمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يقول: يتبينون بها أنك صادق وأن الذي جئت به حق.

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: التي أنعم الله بها عليه فيما أودعه من علم رسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وحججه فكتم الحق وجحده.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾: البينات التي تحقق ما في كتابه، وهو كقوله تعالى: جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ومصدقاً لما بين يديه من التوراة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢١١)﴾ [البقرة]، أي لمن جحد آياته وحججه لرسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وكتمها.

[في الصلاة الوسطى]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: سمعت عبيد الله بن العلا يقول: سمعت رجلاً سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قوله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨].

قال: الصلوات قد أمر الله عز وجل بحفظها أن تودى لميقاتها وعدد ركوعها وسجودها وتمامها على ما فرض الله عز وجل.

وقد قال بعض المفسرين: هي العصر، وقال آخرون: هي الظهر، وقالوا: الصبح، وهي عندنا المغرب.

[معنى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، عن أبيه أنه سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قوله عز وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ(٣١)﴾ [الرحمن]، فقال: هذا وعيد من الله عز وجل وتهديد كقولك للرجل عند الغضب: سأفرغ لك وللنّظرِ في أمرك، وأنت غير مشغول عنه ولكن تتواعده أنك ستفرغ له وتنظر في أمره، ثم أنشد:

سأفرغ للمعروف غير مفرِّطِ   وعادتي المعروفُ والعرفُ أجملُ

[معنى قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾]

وبالإسناد: حدثنا محمد قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة بن زيد، حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت من سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله عز وجلّ وإخباره عن قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧)﴾ [هود].

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: هذا من الحروف المقلوبة وهو أن تصف العرب الشيء بضد صفته كقولهم للديغ: السليم، تطيراً من أن يقول: سقيماً، وتفاؤلاً بالسلامة، ويقولون للعطشان: ناهل، أي سينهل يريدون سيروا، ويقولون للفلاة وهي مهلكة مفازة يريدون منجاة.

وقولهم لشعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧)﴾، يريدون السفيه الجاهل، وهذا كما تقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وتستحمقه: يا حليم.

ثم أنشد الشاعر:

وقلت لسيدنا يا حليم (١) إنك لمن تأس أسوأ رفيقا

(١) من كتب اللغة: وقلت لسيدنا يا حليم * إنك لم تأسُ أسواً رفيقاً. وتأس، من التأسي.

ومن هذا النوع الاستهزاء.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ(١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ(١٣)﴾ [الأنبياء].

ويقول الشاعر من العرب في مثل هذا النوع:

هلا سألت جموع كنـ ـدة يوم ولّوا أين أينا

.............(١)

---

(١) - في الأصل بياض في الصفحة أكثر من النصف، ولعله سقط.

ليعبدوا ما يعبدوا بدا وأتى ذلك وأعاد فأراد الله تعالى حسم أطماعم وإكذاب ظنونهم فأبدا وأعاد في الجواب وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(٩)﴾ [القلم]، أي تلين لهم فيلينون في أديانهم.

[فائدة تكرير آية الآلاء]

وأما تكرار قوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٣)﴾ [الرحمن]، فإنه عدد في هذه السورة نعماءه، وأذكر عباده نعماءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه.

ثم أتبع كل ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لتفهم النعم ويقررهم بها في ذلك.

وهذا كقولك للرجل: أحسنت إليه دهرك وتابعت عنده الأيادي وهو في ذلك ينكرك ويكفرك، ألم أبويك منزلاً وأنت طريد أفتنكر ذلك ؟ ألم أحملك وأنت راجل أفتنكر ذلك؟ ألم أحج بك وأنت صَرُورة؟ أفتنكر ذلك هذا ؟

ومثل هذا: تكراره عز وعلا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(١٥)﴾ [القمر]، أي معتبر ومتعظ.

[معنى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري، وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا قال: قال لي أبي: سألت الإمام أبا الحسين زيد بن علي ـــ صلوات الله عليه ـــ عن قول الله عز وجل: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى(٣٤)﴾ [القيامة].

فقال: هي تهدد ووعيد، والعرب إذا تهدد الرجل منهم صاحبه قال له: أولى لك ثم أولى لك، وقال الشاعر لمنهم:

ألفيتَنا عيناك عند اللقا أولى وأولى لك ذا وافيه

[معنى: ﴿لَا جَرَمَ﴾]

وقال: وسألت زيداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود:٢٢]، قال: هي بمنزلة لا محالة ثم كثرت في الكلام حتى صدرت بمنزلة حقاً وأصلها جرمت أي كسبت.

وأنشد قول الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن تغضبوا

أي كسبتم الغضب أبداً وقال: يقول العرب فلان جارم أهله أي كاسبهم وجرمتهم، وإنما سُمّيَ المذنبُ مجرماً من هذا لأنه كسب وافترق.

وقال: سألت زيداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله عزوجل: ﴿كَلَّا﴾ [التكاثر:٣]، ردع وزجر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً(٥٢) كَلَّا﴾ [المدثر].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ(١٩) كَلَّا﴾ [القيامة]، يريد أنه عن أن تعجل به.

وقال جل وعلا: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ(٣) كَلَّا﴾ [الهمزة]، أي لا يخلده ماله.

وقال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(٨) كَلَّا﴾ [الانفطار]، أي ليس كما غررت به.

وقال عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ(٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦) كَلَّا﴾ [المطففين]، يريد انتهوا.

تم بحمد الله

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً